(٩٧)

حنين

أم سُلَيْم : يا رسول الله، اقتل من يعدونا من الطلقاء، انهزموا عنك!

النبى : إن الله تعالى قد كفى وأحسن يا أم سليم.

أم سُلَيْم : بأبى أنت وأمى يا رسول الله، فإنهم لذلك أهل!

النبى : قد كفى الله تعالى.. عافية الله تعالى أوسع.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

«حنين، وفلـــول المنهزمين من هــوازن ومن والاهم تطير مرتدة من حيث أتت.. تأتـى العيون بأن فريقًا منهـم عسكـر «بأوطـاس»، وأن بعضهم توجـــه نحو «نخلة» ومعظمهـــم من بنى عنزة من ثقيف.. النبى – عليه الســلام – يأمر الفرســان بتتبع الفرار من هوازن وثقيف، يوصيهم قبل أن ينطلقوا..».

النبى : (للفرسان) إن قدرتم على «بجاد» فلا يفلتن منكم.

فارس : (متسائلا) بجاد؟

آخر : هو رجل من بنى ســعد بن بكر.. هو الذى قتل مسلمًا أتاه وقطعه عضوًا عضوًا ثم حرقه بالنار!

ثالث : عرف جرمه العظيم فهرب!

الفرسان : تبًا له.. نحن له..

«ينطلقون..»

* * *

«بعد يوم وقد نجحت ثلة من الفرسان فى أسر بجاد السعدى.. يعودون به إلى رسول الله – عليه السلام – وفى الأســرى سيدة ضموه إليها.. هى الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى قد أجهدها السير وتعبت من اقتيادها..».

الشيماء : (لآسريها) إنى والله أخت صاحبكم!

بعضهم : (يرددون فى استخفاف) أخت صاحبنا؟!!

«يقهقهون..».

الشيماء : آى والله.. إنى والله أخت صاحبكم!

بعضهم : ما عرفنا لنبينا أختًا!!

«يتضاحكون»

* * *

«بحنين، النبى – عليه السلام – بمجلسه من حوله بعض الصحابة، تأتيه طائفة من الأنصار بالأسيرة يسبقهم إلى النبى تعجبهم من أنها لا تزال تصر وتردد أنها أخت رسول الله!!».

الشيماء : (للنبى مبادرة) يا محمد!! إنى أختك..

النبى : (فى رفق ودهشة) وما علامة ذلك ؟!

الشيماء : (وهى تطلع النبى على إبهام إحدى يديها) هذه العضة!

البعض : (مرددين فى دهشة) العضة؟!

الشيماء : (للنبى – متجاهلة صيحات الدهشة) عضة عضضتنيها وأنا متوركتك (حاملة إياه على وركها) بوادى «السَرّر» (وادى على أربعة أميال من مكة) ونحن يومئذ برعائهم نرعى البَهْم..

«يبدو على النبى أنه قد بدأ يتعرف عليها..».

الشيماء : (تستأنف متشجعة) أبوك أبى وأمك أمى.. قد نازعتك الثدى.. (تستأنف) تذكّرْ يا رسول الله حلابى لك عنز أبيك أطلان..

«النبى – عليه السلام – يثب قائمًا وقد اجتاحته الذكريات وتعرف على أخته فى الرضاع.. يبادر فى حنان فيبسط لها رداءه حفيًّا مرحبًا..».

النبى : اجلسى عليه (يستأنف وعيناه تدمعان) فكيف أمى وأبى..

الشيماء : ماتا من زمن يا رسول الله..

النبى : فمن بقى من الأهل؟!

الشيماء : أختى وأخى وعمى أبو برقن!

النبى : إن أحببت فأقيمى عندنا مُحبَّبةً مكرّمة، وإن أحببت أن ترجعى إلى قومك وصلتك ورجعت إلى قومك.

الشيماء : سلمت يا رسول الله، بل أرجع إلى قومى، وإنى لأشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله..

«المسلمون يتابعون وقد تغشتهم المسرة لسرور رسول الله وفرحه بلقاء أخته فى الرضاع.. ينصرم الوقت والنبى يعطف على أخته ويبسط لها من رحمته وبره.. يأمر لها بمن يخدمها ويهديها بعيرين تمضى بهم مجبورة الخاطر مودعة من الرسول والمسلمين..».

* * *

«حنين، وقد أزمع النبى – عليه السلام – السير بالمسلمين إلى الطائف للحاق بالفارين من هوازن وثقيف، وأرسل بعض الفرسان لمطاردة فلولهم إلى «أوطاس» و«نخلة».. النبى – عليه السلام – يستحسن وقد أزمع السير إلى الطائف أن ينتدب الطفيل بن عمرو الدوسى ليتجه إلى «ذى الكفين»: صنم من الخشب لعمرو بن حُمَمَه الدوسى – ليهدم هذا الوثن الذى أقيم لعبادته

من دون الله على أن يوافيه بعدها فى الطائف.. الطفيل يخرج سـريعًا فى ثلة من الفرسان لتنفيذ ما انتدبه له رسول الله..».

* * *

«قريـة بالطريق من حنـين إلى الطائف، وقد وصلت ثلة الفرسـان بقيادة الطفيل بن عمرو إلى موضع الصنم «ذى الكفين».. يبادر الطفيل ومن معه بتكسير الصنم وتحريقه».

الطفيل بن عمرو : (منشدًا) يا ذا الكفين عُبَّادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا إنى حشوت النار فى فؤادكا!!

* * *

«الطريـق إلى الطائـف، الطفيل بن عمرو وقد جمـع إلى من معه نحو أربعمائـة مجاهد، ووفر «دبابـة» ومنجنيقًا، ينحدر بهم مسـرعًا ليوافى رسول الله فى الطائف حيث واعده».

* * *

«باحـة حنـين، ولا تـزال عواقـب المعركة ساخنة، والأشلاء مبعثرة.. وسط القرشيين شيبة ابن عثمان، سـار ضمن القرشيين إلى حنين يزين له شيطانه أن يصيب النبى على غرة، وأن ينتقم لقتـلاه وقتلى قُريش فى شـخص النبى – عليه السـلام – يقـول لنفسـه غـلاً وضغنًا: «لـو لـم يبق مـن العـرب والعجـم أحـد إلاّ اتبع محمدًا

مـا اتبعته أبدًا ! ! .. شـيبة يمضى بين العسـكر بأحقاده وغلـه يتربص لاغتيال الرحمة المهداة.. أراد وقت ارتداد المسـلمين أن يصيب منه ولكنه خشى العباس والصحابة القائمين على حراسته.. لا يـدرى وهـو يتربص ويـدور ويجـول ويتقدم ويتأخر لينال بغيته، إلاّ بصوت يناديه..».

النبى : يا شيب.. ادن منى..

«شـيبة يدنو من النبى مـترددًا واجف القلب مضطرب الفؤاد ! !».

شيبة : (متلعثمًا) لبيك !

النبى : (وهو يضع يده برفق على صدره) اللهم أذهب عنه الشيطان..

«شـيبة يقف مبهوتًا، ما يحس إلاّ بتيار دافق يجتاحه، ينظر إلى النبى – عليه السلام – كأنه يـراه لأول مرة.. مـا يـدرى إلاّ ومحبة الرحمة المهداة قد تغشته فملكت عليه كل نفسه !».

شيبة : (متمتمًا لنفسه) الحمد لله الذى أراد بى خيرًا مما أردت !

* * *

«بعد المعركة، والمسلمون ملتفون حول الرحمة المهداة، يشيدون بالفئة الصابرة التى ثبتت حول رسـول الله – عليه السلام – ويعتذر من أخذتهم شـدة الهجمة فى البدايـة فنكصوا.. ينظر النبى – عليه السـلام – فيلمح سـيدةً وسط المتزاحمين حوله..».

النبى : (متسائلا) أم سُلَيْم؟!

أم سليم : نعم بأبى أنت وأمى يا رسول الله..

بعض الصحابة : أحسنت يا أم سليم..

أم سليم : (للنبى) يا رسـول الله اقتل من يعدونا من الطلقاء، انهزموا عنك!

النبى : (متبسمًا) إن الله تعالى قد كفى وأحسن يا أم سليم.

أم سليم : بأبى أنت وأمى يا رسـول الله، اقتل من انهزموا عنك كما تقتل الذين يقاتلونك، فإنهم لذلك أهل!

النبى : قد كفى الله تعالى.. عافية الله تعالى أوسع..

* * *

«مضارب المسلمين فى أعقاب حنين، المسلمون يطيبـون جـراح المصابين، ويدفنون الشـهداء.. النبـى – عليـه السـلام – يمر بـين الجرحى يواسيهم ويخفف عنهم..».

النبى : (مناديًا فى المسلمين) من يدلنى على رحْل خالد بن الوليد..

صحابى : أثقلت عليه الجراح..

النبى : من يدلنى على رحل خالد..

أحد المسلمين : ها هو يا رسول الله، مستند إلى مؤخرة رحله..

«النبى – عليه السـلام – يتجـه إلى خالد، يواسيه وينظر إلى جرحه يعالجه ويضمده ويدعو له..».

* * *

«بموضع آخـر مـن الباحـة.. النبى – عليه السـلام – يمـر بعائذ بن عمـرو، يلفاه جريحًا بجـرح غائر فى جبهته، النبى – عليه السـلام – يسـد الدم بيده عن وجهه إلى ترقوته ثم يمسح الدماء عن وجهه وصدره.. يواسـيه عليه السلام ويدعو له قبل أن يغادره إلى غيره وقد حل بشـر الجريح محل ما كان يعانيه من آلام..»

* * *

«بالباحة، أحد المسـلمين يقـترب من النبى فيذكـر لـه أسمـاء من استشهد من المسلمين..».

عبد الله بن قيس : هلكت بنو رئاب يا رسول الله..

النبى : (داعيًا) اللهم اجبر مصيبتهم!

* * *

«أحـد المطاردين من الفرسـان لفلول هوازن وثقيف، غلام يافع هو ربيعة بن رفيع بن أهبان ابن ثعلبة من بنى سليم.. يدرك جملاً فى «شجار» له (كالهـودج)، فيأخذ بخطام الجمل وهو يظن أن «الشـجار» يوارى امرأة، فإذا به شيخ قد هرم وجـاوز المائة – هو دريد بن الصمة.. ربيعة ينيخ البعير وينظر إلى الشيخ متسائلاً..».

دريد بن الصمة : (مبادرًا) من أنت؟

ربيعة بن رفيع : ربيعة بن رفيع السلمى..

دريد : ما تريد؟

ربيعة : أقتلك.

دريد : وما تريد إلى المرتعش الكبير الفانى؟!

ربيعة : ما أريد إلاّ ذاك.

«ربيعة يحاول ضرب الرجل فتطيش ضربته..».

دريد : بئس ما سلْحَتك أمك، خذ سيفى من وراء الرحل فى الشجار، فاضرب به وارفع عن العظم واخفض عن الدماغ.. فإنى كذلك كنت أقتل الرجال، فإذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة، فرب يوم قد منعت فيه نساءك!

* * *

«فى وقت لاحق.. ربيعة بن رفيع مع أمه يحكى لها ما قاله دريد بن الصمة قبل أن يجهز عليه..».

أم ربيعة : والله لقد أعتق أمهاتٍ لك ثلاثًا فى غداةٍ واحدة، وجز ناصية أبيك!

ربيعة : (آسفًا) لم أشعر!

* * *

«بباحة حنين بعد المعركة ، النبى – عليه السلام – يمر يتفقد المسلمين، فيلفى جمعًا حول جثمان.. المسلمون يسارعون بالإفساح للنبى،

مـا إن ينظر ويرى أنه لامـرأة حتى يعلو وجهه الغضب..».

النبى : (لمن حوله غاضبًا) ما كانت هذه لتقاتل؟! (يستأنف) نادوا فى الناس ألاّ يقتلوا ذرية ولا عسيفًا (شيخًا فانيًا)!!..

مناد : يقول لكم رسول الله: لا تقتلوا ذرية ولا عسيفًا!!

* * *

«بباحة حنين وقد فرغ النبى – عليه السلام – من صلاة الظهر، ينتحى – عليه السلام – إلى شجرة يستظل بها من الرمضاء.. عيينة بن حصن ومعه الأقرع بن حابس – يتجهان إلى النبى وقد أمسكا بخناق مُحَلِّم بن جَثامة يعزمان على النبى أن يقتص منه لقاء دم عامر بن الأضبط الأشجعى..».

عيينة بن حصن : يا رسول الله، والله لا أدعه حتى أدخل على نسائه من الحرب والحزن ما أدخل على نسائى.

النبى : (مواسيًا) تأخذ الديّة؟

عيينة : لا والله..

«تعلو الأصوات، ويكثر اللغط ما بين مؤيد ورافض لقبول الدية.. ينهض رجل من بنى ليث يقال له «مُكَيْتل»: قصير القامة عليه درقة وعدة السلاح كاملة فيبادر متداخلاً..».

مكيتل : يا رسول الله، إنى لم أجد لما فعل هذا شبها فى غُرّة الإسلام إلاّ غنمًا وردت فَرُمى أولها فنفر آخرها، فاسنن اليوم وغير غدًا إذا شئت.

مسلم : (لجاره) ما الذى يريده مكيتل..

الآخر : يطلب إلى النبى أن يعمل بالسنة التى سنها فى القصاص، ثم بعد ذلك إذا شاء أن يغير فيغير..

«النبى – عليه السلام – يرفع يده، فتهدأ الأصوات..»

النبى : (للمتخاصمين) تقبلون الدية خمسين (من الإبل) فى فورنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا المدينة.

«أولياء الدم متأرجحون بين الإقدام والإحجام.. يقوم الأقرع بن حابس فيقطع الصمت».

الأقرع بن حابس : يا معشر قريش، سألكم رسول الله أن تتركوا قتيلا ليصلح به بين الناس فمنعتموه إياه!!.. (يستأنف مقرعًا) أفأمنتم أن يغضب عليكم رسول الله فيغضب الله بغضبه، أو يلعنكم رسول الله فيلعنكم الله تعالى بلعنته؟!!. والله لتسلمنه إلى رسول الله أو ليأتين بخمسين من بنى ليث كلهم يشهدون أن القتيل ما جُلِّىْ قط فأبطلن دمه..

«تهدأ الخواطر.. ويميل أولياء الدم إلى القبول، بينما محلم بن جثامة: رجل آدم طويل ممشوق لا يصدق النجاة وكان قد تهيأ للقصاص.. يلتف حوله المسلمون ينصحونه بأن يدعو الرحمة المهداة أن يستغفر له.. محلم يقوم مترددًا فيجلس بين يدى الرسول وعيناه تدمعان..».

محلم بن جثامة : (مستعطفًا) يا رسول الله، قد كان من الأمر الذى بلغك وإنى أتوب إلى الله، فاستغفر لى..

النبى : أقتلته بسلاحك فى غُرّة الإسلام ؟! (بصوت عال) اللهم لا تغفر لمحلم!

محلم : (يعاود مستعطفاً) يا رسول الله، إنى أتوب إلى الله فاستغفر لى!

النبى : (مقرعًا) تقتله بسلاحك فى غُرّة الإسلام؟! (بصوت مسموع) اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة!

محلم : (يعاود ملحًا) يا رسول الله، قد تبت إلى الله فاستغفر لى!

النبى : قم من بين يدى..

«محلم بن جثامة ينهض يائسًا دامع العينين..».

ضمرة السلمى : (يهمس لرجل بجواره) أراد النبى أن يعلم الناس قدر الدم عند الله، ولكنه حرك شفتيه بالاستغفار!

الجار : لم أسمع!

* * *

«فى حنين، النضير بن الحارث على اندساسه بين المسلمين منذ خرج معهم من مكة إلى حنين وشيطانه يوسوس له أن ينتهز أى دبرة على النبى فى هوازن ليغير عليه فيمن يغير من المنافقين الذين أضمروا فى نفوسهم شرًا وتظاهروا بنصرة المسلمين!! قد تخيل أن الفرصة قد سنحت له حين تراءت الفئتان وحملت هوازن على المسلمين حملة واحدة فاندس فيهم مندفعًا فى اتجاه الرحمة المهداة، فما كاد يقترب حتى

سمع أصواتًا تهتف به: إليك!! إنه ليذكر يومها كيف أرعب فؤاده وأرعدت جوارحه!! وقبل أن يفيـق مما اعتراه رأى أصحـاب محمد والأنصار يتنادون ويخوضون الغمار حتى صارت لهم الكرة بعد الفرة.. يومها تنحى فى غُبّرات الناس حتى هبط بعض الأودية وكمن فى خمر (غطاء) شجرة يتمنـى ألا يهتدى أحـد إلى موضعه.. مكث فى ذلك أيامًـا لا يفارقه رعبه، ماكث فى موضعه.. إن نفسـه لتحدثه بأنه لم يعد من التسـليم بأمر محمد بدّ!.. لم يبق أحد إلاّ ولبى إليه، فما باله على تردده!!.. فى لحظة تجلٍ تبرق له الحقيقة فينخرط بين المسـلمين صادق النيـة.. ما يدرى وهو بين المسـلمين إلاّ والنبى – عليه السلام – يبتدره..».

النبى : النضير؟!

النضير بن الحارث : لبيك.

النبى : هذا خير لك مما أردت يوم حنين..

النضير : (يردد مبهوتًا) يوم حنين؟!

النبى : هـذا خـير لك مما أردت يـوم حنين فما حـال الله بينك وبينه..

«النضير كأن مسًّا قد أصابه، يطير مسرعًا إلى النبى – عليه السـلام – معقود اللسـان واجف القلب..».

النبى : (مترفقًا) قد آن لك أن تبصر ما أنت فيه توضع!

النضير : قد أرى أن لو كان مع الله إله غيره قد أغنى شيئًا.. (يستأنف) يا نبى الله إنى لأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنك رسول الله..

النبى : (داعيًا) اللهم زده ثباتًا..

«النضير يستقبل كلمات الرحمة المهداة وقد ملأ اليقين حناياه، وأخذت تكبيرات المسلمين تصافح أذنيه وأنسام الإيمان تتغشاه..».

* * *

«أوطاس.. حيث أوفد النبى – عليه السلام – مجموعة من الفرسان لمطاردة فلول المنهزمين الهاربين من هوازن وثقيف.. على رأس الفرسان: أبوعامر الأشعرى ومعه سلمة بن الأكوع وقد أشرفا بمن معهما على عسكر القوم.. يبرز لهم من العسكر رجل ضخم يطلب المبارزة..».

الهوازنى : (متفاخرًا فى خيلاء) من يبارز؟

أبوعامر الأشعرى : (وهو يبرز له) اللهم اشهد!

«الرجلان يتلاقيان، جولة فأخرى، تسفر عن انتصار أبى عامر الأشعرى.. يخرج إليه المتبارزون تباعًا حتى بلغوا تسعاً وهو يجهز عليهم واحدًا تلو الآخر.. يخرج إلى أبى عامر وقد أجهده التعب من طول البراز رجل معلم بعمامة صفراء ينشد المبارزة..».

أبو عامر الأشعرى : اللهم اشهد!

المعمم : اللهم لا تشهد!

«يتصاول الرجلان، فينال المعمم من أبى عامر الذى هزمه الإجهاد.. يسرع المسلمون إلى أبى عامر يحتملونه وبه رمق.. يلتف حوله المسلمون لإسعافه دون جدوى.. يحس بأن روحه صاعدة إلى بارئها، فينادى على أبى موسى الأشعرى.. يطير إليه..».

أبوموسى الأشعرى : لبيك.. جُعلت فداك.

أبوعامر الأشعرى : (بصوت متهدج) خذ الراية فقاتلهم حتى يفتح الله عليك..

أبو موسى : أفعل إن شاء الله.. طبت وسلمت.

أبو عامر : (وهو يحتضر) ادفع فرسى وسلاحى للنبى عليه السلام وقل له أن يستغفر لى.

أبو موسى : أفعل إن شاء الله..

«أبوعامر يخفق خفقة، تصعد روحه إلى بارئها وعلى محياه بسمة مفعمة بالأمان والرضاء..».

* * *

«النبى عليه الصلاة والسلام فى مناجاته وتعبده وشكره لربه بعد تحول محنة حنين إلى نصر مَنّ الله تعالى به على المسلمين بعد بأس شديد، يوافيه جبريل عليه السلام، فيوحى إليه من آيات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة التوبة الآيات ٢٥ – ٢٧).

(يرتفع الوحى)

* * *

«المدينة، وقد آذن اليوم بالزوال.. يصل نهيك بن أوس الأشهلى إلى أطراف المدينة مجهدًا من طول السفر.. أرسله النبى – عليه السلام – من أربعة أيام ليحمل البشير إلى المدينة بهزيمة هوازن ونصر المسلمين.. الصبية والغلمان يتجمعون على الأشهلى يسألونه فى قلق عن أنباء النبى والمسلمين، ولكنه يمضى براحلته لا يجيب أحدًا حتى يصل إلى المسجد النبوى ويهوى إليه الباقون بالمدينة متوجسين مشفقين يستطلعون الأنباء وهم لا يخفون ما بهم من قلق..».

بعضهم : (للأشهلى) يقولون إن محمدًا هزم هزيمة لم يهزم مثلها قط!

الأشهلى : قد كذبوا.. الباطل يقولون، والله لقد ظفر الله رسوله وأغنمه.. (ينادى) يا معشر المسلمين أبشروا بسلامة رسول الله، ولقد ظفره الله تعالى بهوازن، وأوقع بهم..

«المسلمون يلتفون حول الأشهلى حامدين شاكرين مكبرين..الأشهلى يدعهم فيما هم فيه من أفراحٍ ويمم شطر آل البيت فلا يدع بيتًا لنساء النبى إلا حمل إليه البشارة قبل أن يؤوب إلى داره تاركًا المدينة سابحة فى البهجة والمسرة حتى الصباح..».

* * *

obeikandl.com